إصلاح منهجية التعليم الإسلامي

أستاذ. د. عبد القادر دونوك

كما هو معلوم فإن كل مجتمع مكلف بتعليم أبنائه، ثقافاته وتشريعاته القيمة، وهذه أهم خصوصية لبقاء هذا المجتمع، ويأتي التعليم الديني بخاصة على رأسها.

وكما هو معروف في نظام التعليم في الهند القائم على نظام القصد جعل قبول قيم المجتمع، غاية، وبدون نقاش، ولدى اليهود (العبرانيين) فإن الحاخامين (رجال الدين) قد أتموا قيم المجتمع التي علمها لهم الأب في الحوارات.

وفي أثينا أعطيت الأولوية لعلوم المواطنة والفنون الجميلة، وفي سبارطة أعطيت للرياضة والتربية البدنية، وفي مدارس روما أعطيت للأهداف العملية، لكنها جميعاً لم تهمل في أي منها التعليم الديني.

وإلى جانب المسيحية فقد أعيد من جديد تنظيم المدارس والتعليم بناء على المبادئ والمعتقدات الدينية وأخضعت المعاهد والمدارس لتعاليم الكنيسة، ويتم اختيار المعلمين والمدرسين دائماً من رجال الدين.

كما تبين أن مؤسسات التربية والتعليم ومنذ أقدم العصور قد تشكلت من قبل المعابد، وحيث كانت بداية أهدافها التعليم الديني، لكنها مع الزمن أصبحت تشمل جميع فروع العلم.

وكذلك ثبت نفس الشيء في زمن السومريين والمصريين وفي الشرق الأقصى، وفي إيران.

وقد ظهر من أقدم عصور التاريخ بأن التعليم في هذه الحضارات قد بدأ بالتعليم الديني، وقد دأب على إعطاء التعليم الديني في العائلة الآباء والأمهات ، وفي المدارس الكبار ، ورجال الدين.

فمثلاً في عصر ازدهار العالم الإسلامي بدأ التعليم بالتعليم الديني، وظل لسنوات طويلة يعطى في المساجد.

ونشاهد أن أول نموذج للتعليم في العالم الإسلامي خارج المسجد كان في العصر العباسي حين أسس الخليفة المأمون (٨١٣-٨٣٣) بيت الحكمة.

وبالنسبة للأتراك، في عهد السلاجقة، كان التعليم الديني يعطى في التكايا، وفي تلك الحقبة جرى الاهتمام بكتابة علم الحال.

وفي عهد الدولة العثمانية فيجري الحديث عن أربعة أنواع من التعليم:

مؤسسة تعليم القصر: لتنشئة كوادر الإدارة والتوجيه (الأندرون).

تعليم القلم: وهو التعليم الذي يعطى في الدوائر للتنشئة البيروقراطية .

مدارس التصوف: لتنشئة أصحاب التصوف.

التعليم المدرسي: لتنشئة رجال الدين.

وعند الحديث عن مؤسسة التعليم المبنية على الكلاسيك والعرف في الدولة العثمانية، فبدون شك يتبادر للذهن التعليم المدرسي، وفي المؤسسات الأخرى

بالإضافة إلى ما تعطيه من دروس معينة فهي أكثر ما تكـــون أمـــاكن لإعطـــاء الحلقات الدراسية والتطبيقية .

وتشكل أنواع الدروس التي تعطى في المـــدارس العثمانيـــة ومـــستواها، وأساليب تناول هذه الدروس أهم المواضيع في تاريخ التعليم التركي.

وكان الذي يسير الفعاليات الأكاديمية في المدرسة والمســـؤول عنها يدعى مدرساً .

جميع مدارس العالم الإسلامي الجاهزة للتعليم العالي أو التي تعطى التعلـــيم العالي هي مؤسسات تعليمية عامة تعتمد على واردات الأوقاف وتؤمن الـــسكن الداخلي مجاناً.

لكن بعد التنظيمات عام ١٨٤٠م بعيداً عن تـــأثير المدرســـة ومـــدارس الصبيان افتتحت المدارس الرشدية والإعدادية والعسكرية.

وفي عام ١٩٨١م صدرت تعليمات الجمعية العلمية العثمانية حيث قبلـــت تثقيف الشعب من خلال وسائل الإعلام وإعطاء الدروس للكبار أيضاً.

وبعد عام ١٩٠٨م فإن الدروس والمؤتمرات التي كانت تنظم في المـــدارس التركية أصبحت طابع التعليم الشعبي.

وهكذا ازداد نفوذ الدولة في التعليم وتم تخطيط وتوجيه التعلـــيم الـــشائع والمنتظم من قبل الدولة، وظهرت إلى جانب التعليم الشائع مؤســـسات التعلـــيم المنظمة من قبل الدولة.

وفي عهد الجمهورية التركية تم بموجب قانون توحيد الدراسات ربط جميع مؤسسات التربية والتعليم بما فيها مدارس الوقف بوزارة التربية الوطنية.

وبعد إلغاء الخلافة عام ١٩٢٤م أغلقت المدارس بسبب مبادئ التعليم العلماني.

وفي الوقت الحالي فإن وزارة التربية الوطنية التركية وبهدف تعليم الآداب والأخلاق في المدارس الابتدائية ، فهي تتيح الإمكانات للحصول على العلوم الأساسية حول الحس الديني والمعتقدات والعبادات.

ولتنشئة المتخصصين في الدراسات الدينية العليا، فقد أُنشأت كلية الإلهيات (كلية الأديان) التابعة للجامعة، ولتسيير الخدمات الدينية، فهي تفتتح مدارس الأئمة والخطباء.

في بلدنا يجري التعليم الديني الشائع ، من قبل العائلات والمساجد وفي حلقات تدريس القرآن وفي الإذاعة والتلفزيون وفي المطبوعات والمجلات ومنازل الطلبة وفي حلقات التعليم الشائع وفي غيرها من الأماكن المشابهة بإذن وبدون إذن.

التعليم الديني منتشر في العائلات بدون تنظيم ويعطى حسب طلب العائلة وإمكاناتها.

ومع تكاثر مؤسسات التعليم المنتظم الشائع فقد تضاءل تأثير العائلة على أبنائها في مجال التربية الدينية، ويرى أولياء الطلاب أن التربية الدينية التي تدرس

لأبنائهم في المدارس غير كافية، ويفضلون إرسالهم إلى أقرب مسجد أو إلى حلقات تدريس القرآن لتعويض النقص في التعليم الديني، وجهود أولياء الطلبة وتأثيرهم قد تضاءل في هذا الموضوع.

وإلى هنا نكون قد عملنا على بيان الخطوط العريضة للتعليم الديني في تركيا.

وعندما نأتي إلى موضوع بحثنا الأصلي " إصلاح منهج التعليم الإسلامي" فقد جرى حتى الآن حديث كثير عن هذا الموضوع، وكتب عنه الكثير بحيث لا يمكن حصرها، وعلينا أن لا ننسى وكما هو الحال في كل موضوع أنه توجد فروق في هذا الموضوع أيضاً نابعة من نظام ومعتقدات كل بلد.

ورغم إيماننا بكتاب واحد ونبي واحد ، فإنه وبتأثير المذاهب التي ظهرت مؤخراً، فإنه فضلاً عن إصلاح منهجية التعليم، لا يوجد اتفاق حتى على بداية أهم شهر لدينا شهر رمضان ولازلنا نعاني من عدم الاتفاق على يوم عيد واحد والذي يعتبر من أهم أيامنا. ونتمنى أن تزول هذه الفروقات.

ولاشك أن أول خطوة في إصلاح منهجية التعليم الإسلامي تبدأ من العائلة. ولكن عملية التربية والتعليم هي قبل كل شيء عمل اختصاصي. وعليه فإن الشخص الذي يود رفع سوية وظيفة التعليم الديني سواء في العائلة أو في أي مكان، عليه أن يعرف جيداً موضوعات الدين العامة خاصة إذا كان هذا الشخص قد أخذ وظيفة تربية دينية إسلامية، فعليه أن يعرف جيداً القواعد الأساسية للدين الإسلامي، وأن يعيشها فعلاً، وشخص كهذا في الأصل له فائدة

كبرى ، لأن الدين الإسلامي كونه دين عالمي ومتطور فإنه يتوافق تماماً مع النتائج التي توصلت إليها العلوم الحديثة. ولذلك تقع على الأم والأب اللذان سيعطيان التربية الدينية في العائلة أعمال كثيرة، وعلى الفور يتبادر للذهن سؤال، من بين ملايين العائلات كم عائلة يكون فيها الأم والأب في مستوى المعرفة المطلوبة؟ وهكذا بداية يكمن الهم الأصلي هنا. وبالتأكيد يجب تعليم الأطفال منذ الصغر أساليب التربية قبل العلوم الدينية وانظروا بهذا الخصوص إلى علاء الدين جلبي ماذا يقول في كتابه "طريق الأدب" عام ١٤٥٣ :

أولاً : يجب إعطاء الطفل اسماً حسناً، وإذا كان ولداً يختن، ويحسن تربية أبنائه بالقول الحسن، ويعلمه الكلمة الطيبة والقول الحسن، ويمنعه من القول والتصرفات السيئة. وإلى جانب ذلك، يعلم أطفاله غسل أيديهم بعد خروجهم من الحمام، وأن يجلس على ركبتيه عند الجلوس، والوقوف احتراماً للضيف وللكبار، ويعلمهم قلب الحذاء وفتح الباب عند المغادرة.

وكما يعود أبناءه على التصدق بما لديهم من نقود وخبز وألعاب وغيرها من الأشياء على الفقراء والمعوزين.

وعند بلوغهم سن السابعة يعودهم على الصلاة. وأن لا يأكلوا الطعام مع الكبار حتى سن العاشرة، ولكن إذا حضر الطعام أو عند شرب الماء فيجب إعطاؤه لهؤلاء الأبرياء أولاً، لأنهم أقل صبراً وتحملاً من الكبار.

وعند بلوغ الأولاد سن العاشرة يفصلون عن أمهاتهم وأخواتهم في غرف نوم منفصلة.

وعندما يبلغ الأبناء سن الرشد بحيث يصبحون قادرين على إدارة أنفسهم يمنعون من مخالطة رفاق السوء وسيء الأخلاق.

ولأن البنات بحاجة إلى حب وحنان أكثر من الأولاد فيجب حبهن أكثر.

وهناك أحاديث شريفة تنص على أن الآباء والأمهات سينالون ثواباً أكبر لتحملهم صعوبات ومشقة البنات.

وكما هو معلوم لدى كل الناس فمن التربية الدينية في العائلة المسلمة، فإنه بعد ولادة الطفل يباشر الدعاء والتلقين ، فيقرأ في أذنه الآذان المحمدي، ويعطى له اسم، وكما تقرأ في أذنه سورة الإخلاص والناس والفلق والفاتحة.

وفي العائلة المسلمة فإن الطفل الذي يشاهد أمه وأباه يؤدون عباداتهم بانتظام، ويطبقها فإن هذه التربية تترك آثاراً أكيدة تجري وتنمو في روح الطفل.

إن بذور المحبة والرحمة والعطف والتضحية تبذر في العائلة.

ولكن مصدر كل نوع من أنواع هذه المحبة هي محبة الله والنبي والقرآن والوطن والأمة. وعليه فيما يبدأ التعليم الديني (من المهد إلى اللحد) منذ ولادة الطفل في العائلة فإن ما يعطى للطفل من حب حقيقي في حضن أمه، والعمر الذي يبدأ فيه حب الأشخاص والناس، وفي نفس الوقت الفترات التي اكتسب فيها الاعتبارات الدينية، يجب أن لا ننسى أنها أصبحت الآن حقيقة روحية (بسيكولوجية).

ولكن يلاحظ أنه في المجتمعات وعلى العموم أن الأب يبقى غير مهتم بتربية ابنه تربية دينية ويقع هذا الأمر على الأم التي تكون مشغولة بتربية ابنها.

وفي الحقيقة فإن النساء في بلدنا هن أيضاً أول من يعطين العلوم الدينية الأولية والتربية لأطفالهن.

ليس عندنا فقط، لكن في جميع أنحاء العالم فإن جذور الاعتقاد بأن تربية الطفل هي مهمة الأم قديمة في التاريخ.

وكما بين العالم الإسلامي الكبير الإمام الغزالي فإن الوظيفة الأولى للعائلة هي الحماية ثم يبدأ بعدها التعليم.

التعليم الديني الذي يبدأ في العائلة يجب أن يستمر في رياض الأطفال ودور الحضانة، لذلك فإن المربين للأطفال يجب أن يكونوا محبين لدينهم وعارفين به وأن يكونوا قد تلقوا التعليم الديني.

إن التعليم الديني والتربية الأخلاقية التي تبدأ في العائلة وتستمر في دور الحضانة يجب أن تستمر في رياض الأطفال ومن بعد ذلك يجب أن يؤخذ إصلاح المناهج الدينية الإسلامية في المدارس.

١. التعليم الديني في المدارس الابتدائية.

٢. التعليم الديني في المدارس المتوسطة.

٣. التعليم الديني في المدارس الثانوية.

٤. التعليم الديني في جميع الكليات ومدارس التعليم العالي.

ويجب إعطاء التعليم الديني في المجالات الأخرى خارج مؤسسات التعليم الرسمي. ويمكن سرد هذه المجالات على النحو التالي:

١. التعليم الديني والتربية الأخلاقية في المستشفيات والمؤسسات الصحية.

٢. التعليم الديني في السجون.

٣. التعليم الديني للعمال وأصحاب العمل.

٤. التعليم الديني للطبقات الشعبية.

يجب أن يتميز المعلمون الذين يعملون على تثقيف الأطفال والناس في جميع هذه المجالات بهذه الصفات:

١. أن يكون المعلم على قدر كاف من التعليم، وأن يتقن المعلومات التي سيدرسها جيداً.

٢. أن يخلص جيداً في تعليم ما يعرفه.

٣. أن يشعر بمتعة التعليم وأن يؤدي عمله برغبة منه وأن يجدد معلوماته باستمرار.

٤. بعيداً عن كل أنواع التفكير أن يكون نموذجاً لتلاميذه من النواحي الدينية والإنسانية.وعليه أن يحس ويعيش الحياة الدينية حتى يجعل الآخرين يحسونها ويعيشونها.

وإذا أخذنا مجدداً كل ما ذكر آنفاً ، فإننا سنتناول في فصول ورقتنا هذه وبشكل موسع، ماذا على المسلمين الذين أخلصوا لدينهم أن يفعلوه.

ترجمها من التركية إلى العربية

د. صالح الشرع